

جُلودٌ مُقْشَعِرّةٌ

(تَقشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخشَونَ رَبّهُم)

د . حمزة بن فايع الفتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

قال عزوجل﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ **سورة الزمر: ٢٣.**

(اللهم اجعلنا من أهل القرآن ، الذين هم أهلك وخاصتك).

الفهرس

التوطئة

الحمدُ للّٰه رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى اله وصحبه أجمعين...

أما بعد:

فمع اشتدادِ الغفلات، وتعاظمِ الحيرات ، لا يجد المسلمُ منفذًا من ذلك، سوى كتاب اللّٰه، وأشجان التلاوة ، وتراتيل الأئمة المجودين، ولذلك ما أحوجنا الى استذكاره الدائم ، وتعاهده المتجدد ، بحيث نعالجُ تقصيرنا ، ونداوي غفلتنا ، ومن ثم كانت الصلواتُ الجهرية مواعظَ للقلوب الغافلة، والبعيدة عن وردها اليومي، تطل فتحيينا من سبات، وتوقظنا من جفاء..!

وكنا قد نبهنا سابقًا على ذلك ، وأن في تلاوات بعض الأئمة ما

يجعلك غضًا طرياً، متلهفا لجماليات القرآن ، وروائع القصص والأحكام . وقد يسّر اللّه قبلًا ، نشر كتاب مختصر عنوانه **(قرأ الإمام)**. وها نحن نلحقُ به رفيقه (جلودٌ مقشعرة). تيمنًا بالآية الكريمة : ﴿ اللّهُ نَزّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ ثُمّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللّهِ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ سورة الزمر: ٢٣ .

لعلها تحيي فينا معاني القرآن ، وحقائق الإيمان ، ودروس الوعي والإحسان . فكم من آية فيها لَمَعانُ العظة، ومصداقية الدليل، وقوة الحُجة ، وسطوع البيان ، فنفقهها فنصيب شيئًا من هذه الثمار .

قال الإمامُ ابن كثير رحمه اللّه في تفسيره :» وَقَوْلُهُ: ﴿تَقْشَعِرُّ

مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَيْ هَذِهِ صِفَةُ الْأَبْرَارِ، عِنْدَ سَمَاعِ كَلَامِ الْجَبَّارِ، الْمُهَيْمِنِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، لِمَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُهُمْ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لِمَا يَرْجُونَ وَيُؤَمِّلُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ، فَهُمْ مُخَالِفُونَ لِغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ سَمَاعَ هَؤُلَاءِ هُوَ تِلَاوَةُ الْآيَاتِ، وَسَمَاعُ أُولَئِكَ نَغَمَاتٌ لِأَبْيَاتٍ، مِنْ أَصْوَاتِ الْقَيْنَاتِ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا، بِأَدَبٍ وَخَشْيَةٍ، وَرَجَاءٍ وَمَحَبَّةٍ، وَفَهْمٍ وَعِلْمٍ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأَنْفَالِ:٢-٤ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ الْفُرْقَانِ:٧٣ أَيْ: لَمْ يَكُونُوا عِنْدَ سَمَاعِهَا مُتَشَاغِلِينَ لَاهِينَ عَنْهَا، بَلْ مُصْغِينَ إِلَيْهَا، فَاهِمِينَ بَصِيرِينَ بِمَعَانِيهَا؛ فَلِهَذَا إِنَّمَا يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَسْجُدُونَ عِنْدَهَا عَنْ بَصِيرَةٍ لَا عَنْ جَهْلٍ وَمُتَابَعَةٍ لِغَيْرِهِمْ أَيْ يَرَوْنَ غَيْرَهُمْ قَدْ سَجَدَ فَيَسْجُدُونَ تَبَعًا لَهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ يَلْزَمُونَ الْأَدَبَ عِنْدَ سَمَاعِهَا، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ كَلَامَ اللَّهِ مِنْ تِلَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ مَعَ قُلُوبِهِمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ. لَمْ يَكُونُوا يتصارخُون وَلَا يَتَكَلَّفُونَ مَا لَيْسَ فِيهِمْ، بَلْ عِنْدَهُمْ مِنَ الثَّبَاتِ

وَالسُّكُونِ وَالْأَدَبِ وَالْخَشْيَةِ مَا لَا يَلْحَقُهُمْ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا فَازُوا بالقِدح المُعَلّى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وفي فتح البيان لصديق القنّوجي رحمه اللّٰه: قال الزجاج: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلودُ الخائفين للّٰه، وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر الوعيد، والوجل والخوف. وقيل المراد بالجلود القلوب والأول أولى لذكرها فيما بعد. قال الواحدي: وهذا قول جميع المفسرين.

وقيل : المعنى إن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه إعظاماً له، وتعجباً من حسنه وبلاغته. عن عبد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء كيف كان يصنع أصحاب

رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إذا قرأوا القرآن؟ قالت: « كانوا كما نعتهم اللّه تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناساً ههنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، قالت: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم » .

قال قتادة رحمه اللّه : « هذا نعت أولياء اللّه نعتهم بأنهم تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر اللّه، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان» .

وها هنا توسمنا في ثلاثين موضعا من الكتاب ، مما سمعناه من أئمتنا ، أو انقدح حين التلاوة، فلوحظ فيه معنى باهر، أو لمحة ساحرة، أو موعظة بليغة، فكان أن جلبتها اليَراعةُ ، وحشّت

عليها معالم للإشاعة، حتى يتمّ النفعُ، ويعظمَ القصد، ويطيب العلم ، بقصد التقريب للقرآن ، وتسهيل فهمه للعامة، فقد تجد هنا من منائر الايضاح ما لا تجده في كتابٍ مفسَّر معمق ..!

والسبب طولُ تلك الكتب ووعورةُ أساليبها ، وهنا نتخفف من الأسلوب العلمي الشديد، لنجعل النصوصَ أقرب إلى النفوس ، وتلجَ القلوب بلا متاعب ولا عوائق ، واللّه من وراء القصد .

ولعل فيها وأخواتها حفزاً لإخواننا الدعاة وطلاب العلم، أن يقتنصوا الوعظ القرآني، فينصحوا به، ويتفننوا في عرضه ، ويقبسوا من معاني الآيات ما يبلغهم ناصية التأثير الاجتماعي الدعوي، فالناس يترددون على المساجد ، وتخفى عليهم كثير من المعالي القرآنية ، والهدايات الربانية، وودوا لو تيسر الواعي

اللبيب، والداعية النبيل الذي يربط القرآن ، ويفتق تدبره بكل يسر وسهولة.. ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡآنَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ القمر: ٢٢.

فمن ادكرَ من الدعاة ووعى، فلينفع إخوته ، وليجد على جماعته، وليسخُ بكتاب الله، فليس في المواعظ ما يضاهيه، ولا في العبارت ما يوازيه ، فهو القول الفصل، والكلام الجزل، والموعظة الشافية، والعبرة الوافية . فقربوه يا مشايخ، وجودوا به وعاظ، وتفننوا فيه يا خطباء ..! فالقلوب جافة، والنفوس مرتقبة، والمشاعر كالةٌ، تحتاج من ينفضها ، أو يعطر طريقها، ويصلح بالها ..!

وفي القران دواء كل شاكٍ، وشفاء كل طالب، ومراد كل

راغب، جعلنا اللّٰه وإياكم من أهله وحملته، وخاصته الجادين فيه، والمبتغين به مرضاةَ رب العالمين .

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

والسلام .

جدة بوابة الحرمين الشريفين.

١٥/١/١٤٤٤هـ

١ -لم يخروا عليها صماً وعميانا..!

• ما أكثرَ المواعظ هذه الأيام ، وما أشدَّ الآيات المتلوة، وأعظمَ خبرها ووقعها...! ولكننا وللأسف الشديد في غفلة جاثمة ، وفي أمرٍ مريج، وفي دنيا فاتنة ..! وهنا يمدح الله عباد الرحمن، ويعرِّض بأقوام يسمعون بلا سمع ويحضرون بلا عقل، ويخشعون بلا انتفاع .. ﴿لم يخروا عليها صماً وعميانا﴾ الفرقان : ٧٣ .

• وكيف يصم من وعَى الإسلام، وبلغ خيره وحسنه، وقد سمع الآيات، وعاش درسَها وقصصها ..!؟ إن ذلك لأمرٌ عجيب..!! (لم يخروا) أي لم يسقطوا، ولم يقعوا (عليها) حال كونهم (صماً وعمياناً) ولكنهم أكبوا عليها سامعين، مبصرين، بآذان واعية، وعيون راعية، وانتفعوا بها. وقيل: المعنى لم يتغافلوا عنها، كأنهم

صم لم يسمعوها، وعمي لم يبصروها ، وقال ابن جرير: ليس ثَمَّ

خرور، بل كما يقال قعد يبكي، وإن كان غير قاعد..!

• وليُعلم أن ما وضعه اللّه في كتابه من حكم وأسارير، ومواعظ

وتعاليم، لجديرة بالتوقف والاعتبار ، لا الغفلة والانشغال ..!

ولذلك دعينا كثيرا لقراءة القرآن وتدبره، واستلهام دروسه

وعبره (أفلم يدبروا القول..) سورة المؤمنون. (أفلا يتدبرون

القرآن أم على قلوب أقفالها) سورة محمد .

واستيقن أنك لن تجد حلاوة القرآن ، وتغوص في جماليات

تدبره، حتى تفقهَ معانيه ، وتنفذ عصارتها إلى قلبك المتغافل..!

٢- قلنا يا نارُ كوني بردا وسلاما ..!

• نعم بردت النارُ عليه وسلّمته من شرها وشقاوتها، بفضل اللّه ورحمته ، وفي ذلك دليل على عظم القدرة الإلهية ، وحفظه تعالى لعباده المتقين ..! فلقد تآمر قوم إبراهيم عليه السلام عليه ، حينما خالفهم وحطم أصنامهم، فاستدعوه للمحاكمة، وقرروا تحريقه وإبادته، فحماه اللّه ونجاه ..!

• فإذا سمعت هذه الآيات وقصتها العجيبة فتفكر في عظمة القدرة، وكيف تلاشت النار، وباتت طبيعتها عديمةً، وسعيرها باردًا ، ومخاوفها هينة رطيبةً..! ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ الأنبياء: ٦٩.٧٠ .

• أي ذات برد وسلام؛ أي أبردي برداً غير ضار،وعن ابن

عباس رضي اللّه عنه : قال: لما جمع لإبراهيم ما جمع، وألقي في النار جعل خازن المطر يقول: متى أومر بالمطر؟ فأرسله فكان أمر اللّه أسرع، قال اللّه: (كوني برداً وسلاماً) فلم تبق في الأرض نار إلا طفئت.. وفي الصحيح والمسند عن عائشة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (إن إبراهيم حين ألقي في النار لم تكن دابة إلا تطفئ عنه النار غير الوزغ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم، فأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بقتله وهو سام أبرص). وفي الصحيح أيضًا أنه قال فيها: (حسبنا اللّه ونعم الوكيل).

فنجاه اللّه وحفظه، ورد كيد الكائدين في نحورهم ، والسلام.

٣- واللّه غالبٌ على أمره..!

• مَعنىً إيماني عميق، يعلمك أن الأمور كلها بيد اللّه ، والكون في تدبيره ، ومقاليد السموات والأرض في تصرفه وحكمه..! فبرغم ما تواجه وتلاقي من رزايا وأحداث ، حاول ترسيخ هذا المعنى في مشاعرك.. ﴿وَاللّٰهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٢١ .

وهـذه واقعة في قصة يوسف عليه السلام وقد لاقـى من إخوانه الملاقي ورمـي في البئر ، ففيها تسلية وتصبير، ونبذ للحزن والتشكي ...!

• (واللّه غالبٌ على أمـره) أي على أمر نفسه لا يمتنع منه شيء ولا يغالبه عليه غيره من مخلوقاته إنما أمره إذا أراد شيئاً

أن يقول له كن فيكون يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد لا دافع لأمره ولا راد لقضائه ومن جملة ما يدخل تحت هذا العام كما يفيد ذلك إضافة اسم الجنس إلى الضمير ما يتعلق بيوسف من الأمور التي أرادها اللّه سبحانه في شأنه.

• وفي ذلك بيانٌ لعظيم قدرة اللّه تعالى، فقد تقلب يوسف عليه السلام في أحوال ومراحل، فقد رُمي في البئر ، ثم بيع بثمن بخس ، وابتلي وشاهد الرعب، وتنقل من جهة لأخرى ، ومع ذلك نجاهُ اللّه وخفف عنه.. (أكرمي مثواه...). فتم له الإكرام والتمكين، والعز والتشريف.

٤- وإن كان مكرهم لتزولَ منه الجبال..!

• لخصت لنا الآيــة الكريمة عـداوة المبطلين للدينِ وأهله وأصحـاب الـرسـالات، فقد تفاقم مكرهم ، واحتـد حنقهم، واشتعل خبثهم، حتى ليكاد يذهب بالجبال ، ويعيدها ركاماً منثورًا..! وهذا من باب المبالغة، في تبيين ما بيتوه، وخططوا لأجله..! ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إبراهيم: ٤٦.

وقيل: ما نافية ومَعْنَاهُ: وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ.

قَـالَ الْحَـسَـنُ:» إِنْ كَـانَ مَكْرُهُمْ لَأَضْعَفُ مِنْ أَنْ تَـزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ». فهو أضعف وأهون. ففي التفسير الأول لخطرهم ، وفي الثاني تطمين بهلاكهم وقرب نهايتهم.

• واذا اعتقدنا شدة خطرهم وجب التنبه والاستعداد، وأخذ

الحيطة والحذر، وإذا استيقنا نصر اللّٰه لنا، دفعنا ذلك لمزيد العمل والانتشار الدعوي . ففي كلا الامرين خير للإسلام وأهله..! ولذلك زادت الطمأنينة بعدها بقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ إبراهيم: ٤٧ . أيْ: فَقَدْ وعَدَكَ الظُّهُورَ عَلَيْهِمْ بالنَّصْرَ والفَتْحَ وإظْهارَ الدِّينِ وعلو رايتك، وانكسار شوكتهم . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أيْ: مَنِيعٌ ﴿ذُو انْتِقامٍ﴾ مِنَ الكافِرِينَ، وهو أنْ يُجازِيَهم بِالعُقُوبَةِ عَلى كُفْرِهِمْ.

• والآية معلمٌ وتأكيد على وقوع الصراع بين الحق والباطل، وأن كل دعواتِ التعايش والتسامح محضُ افتراء ومخادعة، فلا تطل السرورَ بالسراب، ولا تخدع بالزهر المزيف ، والابتسامات الصفراء ، فكلها ضرب من الهباء، وما تخفيه الصدور أشدُّ وأشنع ، واللّٰه المستعان (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقال سبحانه : ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ آل عمران: ١١٨ .

٥- ومنكم من يرد إلى أرذل العمر!

• هل رأيتم أرذل العمر، وكيف يعصف بالصحة، وتعتلُّ معه الجوارح، وتخورُ القوى، وتحمل العقاقير المختلفة...؟! نعم رأيناه وعشناه في أقاربنا وأحبتنا..!! حسنًا... وهل تفكّرت مرةً أنك ستصل إليه بعد مدة ليست بالطويلة...؟! فالأيام سريعة، والأعمار متقاربة، والسنوات تجري بمستقر لها وأنت في لهوٍ وغفلة..!! فقد كنت طفلًا وشابًا ، ثم فجاءةً أصبحت في الأربعين، فإذا أنتَ في مشارف الخمسين، وصارت الستون ليست عنكَ ببعيد...!!

• قال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾، وَهُوَ الشَّيْخُوخَةُ والهَرَم وَضَعْفُ الْقُوَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ، وَتَنَاقُصُ الْأَحْوَالِ مِنَ الخَرَف وَضَعْفِ الْفِكْرِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ الرُّوم: ٥٤ .

• وحاول بعضهم ضبطه بسن محددة، فقيل: هو خمس وسبعون سنة ، وقيل ثمانون سنة، ولآخرين : تسعون سنة حتى لا يعقل، ولهذا قال سبحانه (لكيلا يعلم) أي يعقل (من بعد علم) أي بعد عقله الأول (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من العلم، والمعنى أنه يصير من بعد أن كان ذا علم بالأشياء وفهم لها لا علم له ولا فهم كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة الرأي وقلة الفقه والعقل والفهم فينسى ما يعلمه، وينكر ما يعرفه، وفي النحل قال: ﴿ومنكم مَن يُرَدُّ إلى أرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ النحل: ٧٠ . قال النيسابوري: أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الإنسان في أربع: أولها : سن

النشوء والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد.

وثانيها: سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل.

وثالثها: سن الكهولة وهو من الأربعين إلى الستين وهذه المرتبة تسرع الإنسان إلى النقص لكنه يكون النقص خفياً لا يظهر.

ورابعها: سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف.

نسأل اللّه تعالى أن يُحسنَ ختامنا..!

٦- وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر..!

• تمر على المؤمن ساعاتٌ وكروبات، يبلغ الهم منه مبلغه، وقد تغشاه المخاوف، كما حصل في ساعةِ الأحزاب، واشتداد الهلع...

﴿وإذْ زاغتِ الأبْصارُ وبلَغتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ وتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَ﴾ الأحزاب ١٠.

برغم إيمانهم وصبرِهم ، ولكن يحصل أحيانا لبعضهم فيدفعونه بذكر اللّه ويقينهم بالنصر والتمكين ، والغلبة على المعتدين .

• قيل: ظَنَّ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَنَّ الدَّائِرَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي قَوْلِه:

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

الظُّنُونَا﴾ : ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ حَتَّى قَالَ مُعَتِّب بْنُ قُشَيْرٍ -أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ-: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾ : ظُنُونٌ مُخْتَلِفَةٌ، ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ يُسْتَأْصَلُونَ، وَأَيْقَنَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ سَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

• وبلغت القلوب الحناجر : كأنها ارتفعت عن مكانها إلى الحلاقيم ، وهذا تَمْثِيلٌ لِشِدَّةِ اضْطِرابِ القُلُوبِ مِنَ الفَزَعِ والهَلَعِ حَتّى كَأَنَّها لِاضْطِرابِها تَتَجاوَزُ مَقارَّها وتَرْتَفِعُ طالِبَةً الخُرُوجَ مِنَ الصُّدُورِ فَإذا بَلَغَتِ الحَناجِرَ لَمْ تَسْتَطِعْ تُجاوُزَها مِنَ الضِّيقِ، فلا هي غادرت، ولا هي تنفست من هول الفزع، والله المستعان.

• وفي ذلك درسٌ وعنوان على البلاء لأهل الإيمان ، وأَنَّ الحياةَ متقلبةٌ ، ولا تكاد تصفو لبشر ، وأن ثمة ساعات تتكشفُ فيها القدرات، بسبب تقصيرنا في ديننا، وتفاوت المؤمنين في ثباتهم وتمسكهم. وكلما لاح للمؤمن ذلك دفعه بالذكرِ والصبر ، وحسن التوكل واليقين، وقوة الحزم والابتهال ، وقد كان صلى اللّه عليه وسلم يستعيذ باللّه من الجبن وشـره، وصح قوله: : (شرُّ ما في رجل شحٌّ هالع، وجبن خالع). رواه أبو داود. واللّه الموفق والمعين.

٧- ادفع بالتي هي أحسن..!

• تلاها الإمام وتذكرنا نزاعات مرت بنا، وعداوات نشبت بين جيراننا، ورأينا من تسامح وعفا، فاز بالجائزة ، وذوب خصومه وانتصر عليهم... قال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. فصلت ٣٤.

قال ابن عباس رضي اللّه عنه:» أمر المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم اللّه من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم « . وقال ابن عباس أيضا : القه بالسلام . وقيل: بالتي هي أحسن، يعني بالسلام إذا لقي من يعاديه، وقيل بالمصافحة

عند التلاقي .

• فليس ثمةَ دواء للمعرض والخصيم مثل الصفح والمقابلة بالحسنى، والتلاين القولي والعملي، ومن جميل قول الإمام الشافعي رحمه اللّٰه:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ	أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ	لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ	كَأَنَّهُ قَدْ حَشَى قَلْبِي مَحَبَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ	فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ

• ومثل هذه الوصية ثقيلة على كثيرين ، لكن نتائجها باهرة ، وثمارها غالية، ولذلك بينَ تعالى أنه لا يطيقها، ويحتمل غبها إلا من تخلق بالصبر ، وكظم الغيظ، وتطلع في رفيع الأجر...

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ .

أي مَا يُلَقَّى هَـذِهِ الْخَصْلَةَ وَهِـيَ دَفْـعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ

ويحتملها، ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَاحْتِمَالِ الْمَكْرُوهِ، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فِي الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ، وَقَالَ قَتَادَةُ رحمه الله «الْحَظُّ الْعَظِيمُ»: الْجَنَّةُ، أَيْ: مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا مَنْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ.

ثم قال مؤكدا أن باعث تلكم الخصومات الشيطان فهو محركها ومشعلها.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾

لِاسْتِعَاذَتِكَ وَأَقْوَالِكَ، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِكَ وَأَحْوَالِكَ . والله الموفق.

٨- كمثلِ الحمار يحملُ أسفارا!

• ما أشدَّ ذلك التشبيه الذي يصف حمله العلم بأقبح تشبيه وأشنعه، جراء حملهم بلا معنى، واحتمالهم بلا أمانة، وتكلفهم بلا رسالة...! ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الجمعة: ٥.

تعلموا العلم فلم يبلغوه، ودرسوه فما طبقوه ، وحفظوه فما رؤي عليهم، والله المستعان.

ومن المؤسف أن ترى أقوامًا كذلك ، وهم أشبه ما يكون بالعامة العالة السوقة..!!

فلا علم مبين، ولا خلق منير، ولا سلوك رفيع ...!

• يقضي بعضهم سنوات في العلم والتدريس ، ولكنه مخالف لذلك كله...!قال ابن عباس رضي اللّه عنه: أسفاراً كتباً أي كباراً من كتب العلم، قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل، فهكذا اليهود، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه وأعـرض عنه إعـراض من لا يحتاج إليه، ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرون اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم، ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل..!

• وتفكر هنا في منظر تلك الدابة التي تحمل الكتب ولا تعي ذلك، أو لاتفقه رسالته..! ونزّلها على حال ذلك العالم والشيخ الذي تمشيخ منظرًا ، ولكن حاله مشين، وعلمه هجين، وأثره

مهين..؟! فهل سيوقر بعد ذلك ، ويُحتفَى بكلامه وشخصه ...؟!

كلا .. ستمجه الأعين ، وتبغضه الاسماع، وتضيق منه الأنام،

جزاء وفاقًا ، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ الحج: ١٨ .

وإن كان سيخادع جماهيرَ ابتداءً، ولكنه سينكشف بعد مدة،

وتبين حقيقة الجاهل الفاشل ، وينزل منزلته الحقيقية آنذاك ،

يقول سفيان الثوري رحمه الله : (تعوذوا بالله من فتنة العابد

الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون).

والله المستعان .

٩- أن تميلوا ميلاً عظيمًا!

• حينما ترى فعائلهم، وتشاهدُ مسالكهم ، وتفقه تحركاتهم، تدرك أنه الميلُ العظيم الذي حذرنا اللّه منه...!!

فمن هم أولئك القوم..؟! وما صفاتهم..؟! ولم يصنعون كل ذلك...؟! إنهم أرباب الشهواتُ ، وطلاب الخلاعة، ودعاة الاختلاط والسفه..﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٢٧ .

ومعنى (أن تميلوا) أي تعدلوا عن الحق وقصد السبيل بالمعصية والانحراف الفج، فتكونوا مثلهم وفي مظانهم وطبيعتهم (ميلاً عظيماً) يعني بإتيانكم ما حرم اللّه عليكم، والميل العدول عن طريق الاستواء، ووصف الميل بالعظيم بالنسبة إلى ميل من اقترف خطيئة، يعتبر نادراً. وهذا على وجه الاستنكار الشديد ...!!

• ومن ميلهم العظيم: تحبيب المنكرات، وتطبيع الفواحش، وتحبيب العلائق المحرمة بين الجنسين، واستطابة الخبائث، وفسح المجال أمام كل بائقة وكارثة في كوكب الأخلاق والآداب...! فيسلبون الرجل مروءته، والمرأةَ حياءها، ويشاع الهوى، ويحبس الهدى، وتنحر العفة على مدارج الأباطيل والملاهي ، والله المستعان..!

• ولذلك نحن مسؤولون عن جوارحنا وصفاتنا ، ويجب علينا صيانة أخلاقنا، والبعدُ عما يعكر صفو جمال حياتنا ، وأن نداوي غائلة العشق والشوق بالزواج الشرعي المستطاب..! فليس ثمةَ فتنةٌ هي أضرَّ على الرجال من النساء، كما صحت بذلك الأحاديث، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

١٠- وعلمك ما لم تكن تعلم!

• تذكر حينما وُلدت جاهلا غافلا، ضالًا، لا تفقه شيئًا، ولا تعي أمرًا ..! ثم ما هي إلا سنواتٌ معدودات، فيمنحك اللّه عقلًا ، وفهماً ، وسعةً تدرك بها دينك ودنياك ... وقد تنبغُ نبوغًا لا نظير له...! فتذكر نعمةَ اللّه عليك ...(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل اللّه عليك عظيمًا) .

• وقد كانت هذه نعمة اللّه على رسوله عليه الصلاةُ والسلام.. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ النساء ١١٣.

وفي قوله: (وأنزل اللّه عليك الكتاب) منّة على رسوله العظيم، وقيل هذا ابتداء كلام وقيل الواو للحال أي وما يضرونك

من شيء حال إنـزال اللّه عليك القرآن أو مع إنـزال اللّه ذلك عليك، فالجملة في معنى العلة لما قبله (والحكمة) أي القضاء بها (وعلّمك) أي بالوحي من أحكام الشرع وأمور الدين أو علم الغيب وخفيات الأمور أو من أحـوال المنافقين وكيدهم أو من ضمائر القلوب (ما لم تكن تعلم) من الوحي، وقال قتادة: علمه اللّه بيان الدنيا والآخرة ،،وبين حلاله وحرامه ليحتج بذلك على خلقه .

• (وكـان فضل اللّه عليك عظيماً) عظيما في إنقاذك من الجهل، وعظيما في الهداية للحق ، وعظيما في نجاتك من الخطأ، وقد علمك وجعلك نبيًا مكرما، وأنعم عليك برحمته، لأنه لا فضل أعظم من النبوة التامة، والرسالة العامة، وفيه تنبيه منه سبحانه لرسوله على ما حباه من ألطافه، وما شمله من فضله وإحسانه ليقوم بواجب حقه، واللّه الموفق .

١١- قل لا تقسموا طاعةٌ معروفة..!

• كم من أناس في حياتنا الاجتماعية تتحدث ألسنتهم، وتصمت فعالهم، ويشيع كذبهم، ويشح صدقهم..! والله، ونريد... ونقصد... ولو فعلتم فعلنا... ونحن معكم...!! كالمنافقين الأوائل، وقد فضحهمُ القرآن، وجلَّى لنا خصالهم...قال سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور: ٥٣.

أي يتكلفون الأيمان مجتهدين فيها، ومبالغين (لئن أمرتهم) بالخروج إلى الجهاد (ليخرجن) وليغزون صادقين ومضحين، ولما كانت مقالتهم هذه كاذبة، وأيمانهم فاجرة، رد الله عليهم زاجراً ومؤنبا، فقال: (قل لا تقسموا) أي لا تحلفوا على ما

تزعمونه من الطاعة والخـروج إلى الجهاد إن أمـرتم به. فهو (طاعة معروفة) تردودونها بلا فعال..!

• أي طاعتهم طاعة معروفة مكررة باللسان، بأنها طاعة نفاقية لم تكن عن اعتقاد ومصداقية، وقيل: طاعة معروفة أولى بكم من أيمانكم.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ أَيْ: لِيَكُنْ أَمْرُكُمْ طَاعَةً مَعْرُوفَةً، أَيْ: بِالْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ حلف وَلَا إِقْسَامٍ، كَمَا يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ حَلِفٍ، فَكُونُوا أَنْتُمْ مِثْلَهُمْ.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: هُوَ خَبِيرٌ بِكُمْ وَبِمَنْ يُطِيعُ مِمَّنْ يَعْصِي، فَالْحَلِفُ وَإِظْهَارُ الطَّاعَةِ -وَالْبَاطِنُ بِخِلَافِهِ، وَإِنْ رَاجَ عَلَى الْمَخْلُوقِ -فَالْخَالِقُ، تَعَالَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، لَا يَرُوجُ

عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ التَّدْلِيسِ، بَلْ هُوَ خَبِيرٌ بِضَمَائِرِ عِبَادِهِ، وَإِنْ أَظْهَرُوا خِلَافَهَا.

• وفي ذلك درس لنا بحفظ ألسنتنا، وأن تطابق أقوالنا فعالنا، وأن نحذر التناقض الاجتماعي والسلوكي، فهو درب المنافقين وديدنهم، والله المستعان. وفي الحديث المشهور في علامات المنافقين: (اذا حدث كذب) كما في الصحيحين.

١٢- إذ أعجبتكم كثرتُكم!

• مؤسفٌ جدًا أن يتكلَ أهلُ الإيمان على الجيش والكثرة ، والعتاد والعدة، وما يعرف بالأسباب المادية، ويهملون الأسباب المعنوية من التعلق بالله ودعائه واستنصاره...!

فإذا وقع ذلك منهم حلت الهزيمةُ، ووقعت الخسارة ، كما صُنع بهم في يوم حنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ التوبة ٢٥ .

وهنا يمتن الله عليهم بالنصر في مواضع كثيرة، ويذكرهم حالة الاغترار التي نزلت بهم في حنين، وكيف لحقتهم الهزيمة ابتداء، ثم عصمهم الله من ذلك، فاجتمعوا ولبوا النداء النبوي..!

• يقول تعالى معاتبا لهم: (إذ أعجبتكم كثرتكم)، حيث كان

اعظم جيش في الغزوات النبوية، وإنما أُعجب من أعجب من المسلمين بكثرتهم لأنهم كانوا أحد عشر ألفاً، وقيل اثني عشر ألفاً، وقيل أكثر من ذلك . واشتهر قول بعضهم: لن نُغلب اليوم من قلة، فوُكلوا إلى هذه الكلمة (فلم تغن) أي لم تدفع الكثرة (عنكم شيئاً) بل انهزمتم وتفرق جمعكم المتضخم..!

وثبت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وثبت معه طائفة يسيرة منهم عمه العباس، وكان آخذاً بلجام البغلة، وأبو سفيان آخذ بركابه وهو ابن عمه إذ هو ابن الحارث بن عبد المطلب ، ثم تراجع المسلمون واصطفوا فكان النصر والظفرالمتين .

• ونتعلمُ هنا: عظمةَ الإيمان والتوكل على اللّه حقيقةً في المعارك والأحداث، وأنه سببُ النصر والظهور، والحذر من الاتكال على الكثرة والأعداد، ولأنها سببُ الهزيمة والضيقة والإدبار. وفيها توهينٌ لمعنى الإيمان واليقين الذي ينبغي أن يحمله المؤمن ، واللّه المستعان .

١٣- ظهر الفسادُ في البر والبحر!

• كثيرا ما يشتكي بعضُ الناس تغير الحياة ، وتدهور الأحوال، وقلة البركات ، وتناسوا ما قرره القرآن في نصوص كثيرة، كهذه الآية المعبرة عن أوضاعنا ومشاكلنا ..!

قال تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم ٤١ .

والمعنى : لقد استعلنَ الفسادُ في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من المعاصي والمناكر ، وقلّ ورعهم وخوفهم من ربهم تعالى..!

• وقد تنوعت كلماتُ العلماء في صور الفساد، والصواب مِنَ

الآيَةِ عمومية كل ما يصح إطلاق اسْمِ الفَسادِ عَلَيْهِ ، سَواءٌ كانَ راجِعًا إلى أفْعالِ بَنِي آدَمَ مِن مَعاصِيهِمْ واقْتِرافِهِمُ السَّيِّئاتِ وتَقاطُعِهِمْ وتَظالُمِهِمْ وتَقاتُلِهِمْ، أوْ راجِعًا إلى ما هو مِن جِهَةِ اللَّهِ - سُبْحانَهُ - بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ كالقَحْطِ وكَثْرَةِ الخَوْفِ وقلة البركات والثمرات . والبَرُّ والبَحْرُ هُما المَعْرُوفانِ المَشْهُورانِ، وقِيلَ: البَرُّ الفَيافِي، والبَحْرُ القُرى الَّتِي عَلى ماءٍ ، والعَرَبُ تُسَمِّي الأمْصارَ البِحارَ.

• ولا يعني من ظهوره السكوت والتحزن الميت، بل الواجبُ النصحُ والتذكير ، وممارسة الدعوة والإصلاح ، كما قال تعالى:

(فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض). سورة هود .

وصحّ حديثُ : (الدين النصيحةُ). ولكن في ظهوره واستطعام شـروره ما يجب أن يكون حافزًا لتوباتنا ومراجعة أحوالنا ، فنصلحُ نفوسنا وننصح لإخواننا ، والله الموفق .

١٤ - وليحملُنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم!

• تأمل روعةَ التعبير القرآني، ووصف الذنوب بالأثقال ، وكيف أنها أعباءٌ ثقيلة، ومسالكُ عظيمة، وحمولات مرهقة ...!؟ كيف لجسمٍ هزيل حملها، وتحمل أتعابها...! فالخطاب يرومُ تنفيرنا، وتقبيح شأنها في قلوبنا، والله المستعان. ولما تلاها شيخنا في الصلاة هزت وجداني وتفكرت في تسميتها بالثقل ، وجعلها أشياء محسوسة، يجد المرء تعبها وبؤسها ..!

يقول تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ العنكبوت ١٣ .

أيْ وبِاللَّهِ لَيَحْمِلُنَّ أثْقالَ أنْفُسِهِمْ كامِلَةً ﴿وأثْقالًا﴾ أُخَرَ ﴿مَعَ أثْقالِهِمْ﴾ وهي أثْقالُ دعايتهم الضلالية ،ودعاويهم المشبوهة،

وتزيين المحرمات، والحَمْلِ عَلى الكُفْرِ والمَعاصِي مِن غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِن أثْقالِ مَن أضَلُّوهُ شَيْءٌ ما، يلقونها كاملةً متممة ..!

• وقد ورد في حديث صحيح أنَّ النَّبِيَّ صَلّى اللّٰه عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هَدْيٍ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا).

وَفِي الصَّحِيحِ: «مَا قُتِلَتْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ» .

• ويدخل في هذا الدعاةُ المنحرفون، وصناع الفُجر والخرافة، ورسل الباطل والسفه ، ومفاتيح الشرور والخلاعة، وقادة المحتوى المشين في الإعلام القديم والحديث ، فقد بات هنالك

مقدمون ومروجون ومهرجون ، فتنوا الناس في دينهم ، وضحكوا عليهم في أخلاقهم ، وباعوهم للشيطان والهوى، والله المستعان.

ثم قال سبحانه :(وليسألن يوم القيامة) سؤال تقريع وتوبيخ (عما كانوا يفترون) أي: يختلقونه من الأكاذيب والأباطيل التي كانوا يأتون بها في الدنيا وأضلوهم بها، ومن جملتها هذا الوعد.. وقد كان افتراؤهم مزينًا مزيفًا ، خادعًا للعيون والضمائر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يهونون به المحرمات ، ويزينون الأباطيل، ويعدون بالتوبة، كمن يقول: الدنيا لكم، واستمتع بها، ولا تنس نصيبك ..! فيروج ذلك على العامة وصغار الشباب والفتيات ، حتى يقعوا في الحبائل، والله المستعان .

١٥ - ما يفتحِ اللّهُ للناسِ من رحمة !

• نص تشويقي، وموعظة تحببيبة لفضل اللّه، وأن الرحماتِ منه وإليه، ولا يستطيع بشر صدها أو منعها ، سواء كانت علما أو مالا ، او نورًا وفضلا ، وعزة وتمكينًا ..!

يقول تعالى : ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فاطر: ٢ .

أي ليس لك من الأمر شيء فما يأتيهم اللّه به من مطرٍ ورزق ونعمة وصحة ، وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به لا يقدر أحد أن يمسكه ويرده .

وقال ابن عباس: ما يفتح اللّه للناس من باب توبة فلا ممسك لها، هم يتوبون إن شاءوا وإن أبوا، وما أمسك من باب

توبة فلا مرسل له من بعده، وهم لا يتوبون، واستعير الفتح للإِطلاق والإِرسال إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون، وأعزها منالاً، وتنكير الرحمة للإشاعة والإِبهام كأنه قيل: أي رحمة كانت سماوية أو أرضية، وهذا من أعظم الهبات الإلهية..!

• فاللهمَّ ارحمنا، وافتح لنا من رحماتك، ولا تجعلنا ممن يحاولون حرمانَ الناس فضلكَ وجودكَ يا كريم...! والموعظة تعلمنا أن الملك لله، وبيده مفاتيح كل شيء، وبيده مقاليد السنوات والأرض ، وتعمق فينا ركيزة الإيمان واليقين، وأن لا نتعلق بالبشر أو نخشى مكرهم، فالمكر كله لله تعالى، كما قال سبحانه : ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد:٤٢ .

• ولذلك يَجِبُ على المؤمن اعتقادُ توحيد اللّٰه وحده ، وأن

الأرزاقَ بيده، والرحمات منوطةٌ بـه، يعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ العنكبوت:٦٢، واستشعار هذا المعنى يحملك على الدعاء واستثماره ، واللهج واستدامته ، والانطراح واستمراره ، بحيث تفوض أمركَ لخالقك ، وتتضرع له ليلًا ونهارا، وسـرًا وجهارًا . ومن دعائه الجميل صلى اللّٰه عليه وسلم: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)، ولما سأله الرجل: يا رسولَ اللَّهِ كيفَ أقولُ حينَ أسألُ ربِّي قالَ قل (اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني وعافِني وارزُقني وجمعَ أصابعَهُ الأربعَ إلَّا الإبهامَ فإنَّ هؤلاءِ يجمعنَ لَكَ دينَكَ ودُنْياكَ).

في أحاديث كثيرة تستحثنا على سؤال الرحمة من الحي القيوم .

١٦- وتضحكون ولا تبكون !

• معانٍ قرآنية باهرة ، ومواعظ تهزّ الفؤاد ، وتقشعر منها الجلود ، ومع ذلك غفلةٌ وسبات، أو لهو وتضاحك...! قال تعالى في حال بعضهم تجاه القرآن .. ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ النجم : ٥٩ . ٦٠ .

والواجبُ لو تأملتم لحملكم وعظه على الخوف ، ومعناه على التدبّر ، وأخباره على الاتعاظ وحسن الاستعداد . ففيه عجائب موقظة ، وقصص مؤثرة ، وبينات قاطعة ...!

ومن ها هنا يقول تعالى مُنْكِرًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الأوائل في اسْتِمَاعِهِمُ الْقُرْآنَ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وتغافلهم، وفي معناهم كلُّ الصادين الساخرين: ﴿تَعْجَبُونَ﴾ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا،

﴿وتضحكون﴾ مِنْهُ اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَةً، ﴿وَلا تَبْكُونَ﴾ أَيْ: كَمَا يَفْعَلُ الْمُوقِنُونَ بِهِ، المنتفعون بآياته ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ الْإِسْرَاءِ: ١٠٩.

• وهذا الذي يُصابُ به العقلاء عند استماعهم القرآن ، وعيشهم تحت ظلاله ومواعظه، فهو يلهبُ النفوس ، ويقرع الأسماع ، ويزجر الغافلين ، ويرقق المتقين..!

خلافًا لأولئك القوم يجعلون صوته محلا للسخرية والغناء، أو التلاعب والاستكبار، كما قال بعدها تحذيرا لهم.. ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ النجم:٦١ .

• ولذلك أُمرنا بالخشوع عند تلاوته والإصغاء ، لكي تدخل مواعظه في القلوب، وتحلَّ منها المحل الأرفع والأنفع، وفي حلولها

فيه إيمانٌ بهيج ، وسعادةٌ غامرة ، وثبات راسخ، نسأل اللّٰه تعالى من فضله .

وقال سبحانه أيضًا في انتفاع الفئات المؤمنة بآي القرآن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢ .

١٧ - مناعٍ للخير!

• حينما تلاها الشيخُ تذكّرت بداهةً مانعي الخير، والصادين عن سبيل اللّه، والحاجبين أنـوار الذكر والعلم والفضيلة...! فحاذر أن تكون منهم، أو أن تتخلق بصفاتهم، فتقع في صفات المجرمين الأوائل ، فقد زادوا مع كفرهم منع الخيرات ، ونبذ القربات ، كما قال تعالى في كشفهم : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ الملك: ١٠-١١ .

وفي سورة ق قال : ﴿مناع للخير معتدٍ مريب﴾ .

فهو حلاف كاذب، وهماز يمشي في الناسُ بالنميمة ، يحول دون الخيرات ، ويمنع شيوع الفضيلة، أو يمنع الحقوق في أمواله .

• وزاد في كشفه بقوله ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ فهو الْعُتُلُّ: أي

الْفَظُّ الْغَلِيظُ الصَّحِيحُ، الْجَمُوعُ الْمَنُوعُ.، وقد وسع اللّه عليه في النعم: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ فمان حقها الايمان والشكران ، ولكنه قابل مَا أَنْعَمَ اللّٰه عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَالْبَنِينَ، بالكَفَرَ بِآيَاتِ اللّهِ والإعراض عَنْهَا، وَزَعَمَ أَنَّهَا كَذب مَأْخُوذٌ مِنْ أَسَاطِيرِ الأَوَّلِينَ، أي خرافاتهم وأساجيعهم ..!

• وهذا المانع للخير بخيلٌ في ذاته، وصاد للآخرين ، ومانع لانتشار النور ، وعموم الرحمة...! قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ النساء: ٣٧ .

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ الأعراف ٤٥.

وقال : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ سورة الأنفال: ٣٤.

وجاء في سُنَنِ ابن ماجه رحمه اللّٰه : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ » .

واللّٰهُ الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

١٨ - فاصبر صبرًا جميلًا!

• تمرُّ بك في الحياة محنٌ وبلايا وأسقام ، فاصبر تجاهها صبرًا طيبًا ، يقاومُ شدتها، وليكن صبرا كما قال اللّه : (صبرًا جميلا) يفوق كلَّ صبر، ويتجاوز كل محنة، ويظهر كل جلد ورضا وسلامة ..! وهو خطابٌ لرسول اللّه ، ثم لأمته... (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به (صبراً جميلاً) لا جزع فيه ولا شكوى إلى غير اللّه. وقيل هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري بأنه مصاب، مظهرًا القوة والسلامة والجلادة ، كما قيل :

استغنِ ما أغناك ربُّك بالغنى	وإذا تصبكَ خصاصةٌ فتجملِ..!

• هذا هو معنى الصبر الجميل، العطر، الذي يفيضُ على

النفس إيمانا ، وعلى الآخرين عجبًا واندهاشًا ، ويجعلك كالسيد

في القوم، وكالقيم في المناسبات ، والمستشار في الأزمات ...! وقد

قالها يعقوب عليه السلام وقد ابتلي في أبنائه ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾

أي لا جزع فيه.

قال ابن القيم رحمه اللّه : وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية

قدس اللّه روحه ونور ضريحه مرارا يقول: «ذكر اللّه الصبر

الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل فالصبر الجميل

الذي لا شكوى معه، والهجر الجميل الذي لا أذى معه، والصفح

الجميل الذي لا عتاب معه» .

• والصبور وإن تعب ابتداء ، ولكنه يجد لذةَ ذلك بقدر إيمانه

وتوكله على ربه، واستشعاره حلاوةَ الثواب المعقب لذلك، ولهذا

لما اطمأنت قلوب الأنبياء ، كانوا أكثر الناس صبرا، وأشدهم بلاءً ، وأحسنهم ثوابًا.. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الزمر: ١٠.

فالراحةُ والشرح إنما هي في القلب، فإذا حلت فيه حدائق الأعمال ، ومزاهير القربات ، انشرح وارتاح، وبات في ربوة ذات قرارٍ ومعين ..!

ولذلك الزادُ القلبي الروحي من الذكر والتلاوة مقدمةٌ لصبر الروح والجسد، وتحمل الهموم والأنكاد، فارشف من ذاك ما يبلغك منازل أولئك الأبرار المتقين ، جعلنا الله وإياكم منهم...!

والسلام .

١٩ - وتُحبون المال حبًا جماً!

• تأكيد للحالة الدنيوية المتفاقمة، من تسارع الناس وراء الدنيا، واحتشادهم للأموال، وتقاتلهم على الزائف المغري..!

يقول تعالى في تصوير الفطرة الإنسانية ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر ٢٠.

أي تحبونه حباً كثيراً، مبالغًا فيه ، والجمُّ أي الكثيرُ، يقال جمَّ الماء في الحوض: إذا كثر واجتمع، والجمةُ المكان الذي يجتمع فيه الماء، وقال ابن عباس جماً : شديداً .

حتى إن بعضهم ينشغل به، ويفسد دينه، وتضيعُ مروءته ، ويختصم مع قرابته، ويختلف مع جيرانه ..!

ولذلك إذًا أحببت المال، فلا تطغَ فيه، ولا يتسلط عليك حبه والهوس به، فكم من مال ضيع أناسًا ، وذهب بآدابهم وأديانهم..!

• وهـذا الحـب المالي: ينبغي ان لا ينسيكَ دينك، أو يكون شقاء عليك، وأعط منه الزكاة الواجبة ، وصل الصدقة الحانية، وتعاهد أهلك وجيرانك...! واتعظ ممن عـاش للمال، فوافاه الأجل ، وهو عبد ذليل محصور ، وقد صدق فيه كلام المجتبى عليه الصلاة والسلام : (تعِس عبدُ الدينارِ ، تعِس عبدُ الدرهمِ ، تعس عبدُ الخميصةِ ، تعس عبدُ الخميلةِ ، تعِس وانتكَس وإذا شيكَ فلا انتقشَ).[1]

(١) رواه البخاري .

٢٠- فقل ينسفها ربي نسفًا!

• كثيـرًا مـا نتعجبُ مـن الجبـال وضخامتها وارتفاعها وصلابتها، ونعدها من آيات اللّٰه الشامخات ، ودلائل القدرة العظيمات، ولكنها يوم القيامة تصبح خامدةً منسوفةً، لا قيمة لها ولا شكل..!كما قال عز وجل : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ طه: ١٠٥.

والمعنى : يقلعها قلعاً من أصولها ثم يصيرها رمـلًا تسيل سيلاً ثم يصيرها كالصوف المنفوش تطيرها الـرياح هكذا وهكذا، ثم كالهباء المنثور، تراها قاعًا صفصفًا ، فلا ترى فيها عوجًا ولا أمتاً، كالأرض الملساء بلا نبات ولا بناء، بلا عوج ولا أما ، وهما الانخفاض والارتفاع. وقيل العوج الصدوع والأمت

الأكمة، وقيل الأمت الشقوق في الأرض. وقيل الآكام. والمقصدُ زوالها، وبقاء الأرض صعيدا تحتوي الناس للمحشر والحساب والله المستعان .

• وفي هذا دليل على عظم قدرة المولى تعالى ، وأنه مالك كل شيء، وبيده مقاليد الأمور ، ومنتهى الشؤون، فمن أزال هذه الجبال الصم، قادر على بعثهم وإحصائهم الإحصاء الشديد، ومحاسبتهم بعد ذلك .

• ثم قال سبحانه : ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ طه: ١٠٨.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ وذلك حين يُبعثون من قبورهم ويقومون منها، وقد مدت لهم الأرض ، يدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه، لا يلتفتون

عنه، ولا ينشغلون يمنةً ولا يسرة، وقوله: ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا عوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوته حقا وصدقا، فيحضرون لموقف القيامة، خاشعة أصواتهم للرحمن، وجلة قلوبهم ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي: إلا وطء الأقدام، أو المخافتة سرا بتحريك الشفتين فقط، يملكهم الخشوع والسكون والإنصات، انتظارا لحكم الرحمن فيهم،...! وخليقٌ بكل عاقل الإعداد لتلك الساعة المهولة ، والاتعاظ بآيات الله تعالى ، والله المستعان .

٢١- قال إنما أوتيته على علم عندي..!

• لا أقبحَ من الإنسان اذا جحد نعمةَ اللّه عليه، وادعى علمه وحذاقته، أو أن له فضلًا ، فحصل له الذي حصل لكرامته على اللّه ، مثل ما ادعى قارون طاغية المال، حيث قال لما نصح:

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٨.

قيل خبرته وعلمه بوجوه المكاسب والزراعات، وأنواع التجارات، وقيل معرفة الكنوز والدفائن، وقيل علم الكيمياء، وقيل المعنى أن اللّه آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاقي إياها لفضل علمي ومحبته لي، وهذا منتهى الغرور والكبرياء ، عافانا اللّه وإياكم.

• ولو تفكر المرء في حقيقة مصدر المال، وكيف قيضه اللّه، وسهل أسبابه ، لمَا قال ما قال..! أو نظر في مصير الأثرياء قبله كيف جمعوا وأهلكهم اللّه.. ولم يغن عنهم جمعهم المالي الغزير، ولا قواهم الباطشة..؟! والهلاك الحتمي للناس قاطبة، فالمال ليس مخلدًا أهله ، ولكن المؤمنين يموتون على خير وفضل من اللّه ، خلافًا للكفار المستكبرين يموتون على عار وشنار ، كقارون وأشباهه .

• ولذلك احذر فتنةَ المال وطغيانه، وراقب اللّه على الدوام ، وعش ذاكرا شاكرا، وأدّ حق اللّه في ماله ونعمه.. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل : ٥٣ .

واحذر: مالي وفعلت، وخططت ورسمت، وأسندِ الفضل

دائما لله الواحد الاحد، فلولا أفضاله ما بلغت الذي بلغته، ولولا رحماته، لعشتَ فقيرًا بئيساً، ولكنتَ ذلك المغمور في كوكب النسيان ..!

اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همنا ولا مبلغَ علمنا، والسلام ..!

٢٢- أنِ امشوا واصبروا على آلهتكم!

• تعجبتُ واللّه من حين سمعتها -وقد تُليت علينا- من جلَد الكفار وتعاضدهم في طرقهم وضلالاتهم ، خلافًا لأهل الإسلام ، الذين بات تفرقهم معروفا، واختلافهم مشهورا ، وهم اهل التقوى والهدى ، والمحبة والاجتماع... فاسمع ما يقول اللّه عنهم، وتعلم من خصومك ثباتهم على مبادئهم .. ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ص : ٦.

والملأ أشرافهم وسادتهم، فلقد تهمموا للدين الجديد ، وضاقوا من محمد ودعوته ، فانطلقوا إلى أبي طالب عمه، فكلموه في النبي صلى اللّه عليه وسلم قائلين، بعضهم للبعض: (أن امشوا) أي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه.

(واصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادتها وقيل: المعنى

وانطلق الأشـراف منهم فقالوا للعوام: امشوا واصبروا على آلهتكم، فكان هذا السبب لنزول هذه الآية...!

• ولذلك نحن أحرى بالتعاون والتعاضد ، والتواصي والتصابر ، فالمؤمنون إخوة ، ودينهم دين الوحدة والتآلف والتماسك، يقول عليه الصلاةُ والسـلام: (مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وفي القرآن: (واعتصموا بحبل اللّه جميعًا ولا تفرقوا) وما أوتينا إلا من تفرقنا ، وعيشنا بأنانية وعنصرية ، ومن ثم يكثر النزاع ، ويتسلط الأعداء ، ويستتسر المنافقون ، واللّه المستعان .

• ونستحضرُ هنا مقولة عمر رضي اللّه عنه: « اللهم إني

أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة » . فهي بلية قديمة، وداء مستشرٍ، ويجب علينا التخلص منها والعودة لمنهج الإسلام الحقيقي، والحرص دوما على تطبيق رسالته وأهدافه.[١]

(١) تكررت هذه الموعظة في كتاب (قرأ الإمام) فتركت لتجعل للعقل التأملي مساحة واسعة متنوعة ، والله الموفق .

٢٣-ولا يجرمنكم شنآنُ قوم على أن لا تعدلوا!

• من سمات الإسلام العليا ، ومبادئه الفضلى عدالته مع خصومه ، وتربيته أتباعه على العدل والإنصاف ، مهما كان حجم الخلاف ، أو شدة التنازع ، يقول سبحانه مربيا حملةَ هذه الدين : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة: ٨ .

أي: لا يحملنكم بغضُ ﴿قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، واذكروا محاسنهم كما تعدون

مساوئهم ﴿اعۡدِلُوا هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى.

• ويشهد لذاك قوله تعالى في النصوص العدلية المتضافرة: (إنّ اللّه يأمرُ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ..). سورة النحل، والعدل قيمةٌ أممية حضارية ، لا يضيعها إلا من فات حظه، وقلت مروءته ، ورضي بالظلم والعدوان ، واللّه يقول : (وإذا قلتم فاعدلوا) سورة الأنعام. وفي السنن الصحاح في الحديث القدسي : (ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظالموا) .

وصح قول رسول اللّه – صلى اللّه عليه وسلم –: ((إنَّ المقسطين عند اللّه على منابرَ من نور عن يمين الرحمن – عز

وجل – وكلتا يديه يمين، الذين يَعدلون في حُكمهم وأهليهم وما وَلُوا))؛ كما في صحيح مسلم رحمه اللّٰه .

وفي منصرَفِهم من غزوة بدر لما سمع رجلا يقول : واللّٰه إن لقينا إلا عجائزَ صُلعا كالبدن المعلقة، فنحرناها فتبسم رسول اللّٰه ثم قال: «أي ابن أخي أولئك الملأ».يعني الأشراف والرؤساء.

٢٤- فصكت وجهها!

• سمعها وتعجب، لأنها من عاميّ تهامة الفصيح في جنوب المملكة، ولم يكن يتوقع أنها بنفس الدلالة لفظا ومعنى ، فالسيدة سارة اندهشت حينما بُشرت بالولد وكانت عجوزًا عقيما ، فقد حضرت الملائكة وبشروا سيدنا إبراهيم عليه السلام بالولد ، كما قال سبحانه ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)﴾ الذاريات ٢٤-٣٠.

• فوقع الخبر عليها كالصاعقة ، فصُدمت به، وضربت نفسها على وجه التعجب .(فصكت وجهها).

والمقصدُ أي أنها ضربت بيدها مبسوطة على وجهها كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب، فقد جمعت أصابعها

فضربت جبينها تعجباً، ومعنى الصك ضرب الشيء بالشيء العريض يقال: صكه أي ضربه، وفي صرة في صيحة، فصكت لطمت (وقالت) كيف ألد (وأنا عجوز عقيم) استبعدت ذلك لكبر سنها، ولكونها عقيماً لا تلد.

وتستعمل الصك والضرب بمعنى ضرب الوجه والرمي، وبمعنى إغلاق الأبواب والآلات وأشباهها.

• وفي الآية دليل على عظيم قدرة المولى تعالى، وأن منتهى الأرزاق إليه ، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، واذا أراد شيئًا إنما يقول له كن فيكون. فالولد والمال والسكن والسعادة مواهب يهبُها اللّٰه من يشاء من عباده، ويؤخرها عمن يشاء، وهو العليم القدير.

ولا يحدث اللّٰه للمؤمن إلا خيرا ، إن أصابته سراء شكر، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، واللّٰه تعالى أعلم.

٢٥ - إنما بغيُكم على أنفسكم !

• كم نشاهدُ في الحياة من بغيٍ وظلم ، ومن عدوان وتطاول ، وقد يحسُّ صاحبه بنشوة الانتصار فيه، لمحبته الظلم ، وهضم الناس حقوقهم، ولا يدري شؤمَ ذاك عليه، وعاقبته الجارفة له، كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٢٣.

أي عاقبة ذلك سيطالكم، ونهايته ستدور بكم، فلا تفرح كثيرًا، فمكر الله آتٍ، وموعده حتمي، ونصرته للمستضعفين قائمة ، لن تتبدل ولن تتغير. فقوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿عَلى أَنْفُسِكُمْ﴾ أيْ عَلَيْكم في الحَقِيقَةِ لا عَلى الَّذِينَ تَبْغُونَ عَلَيْهِمْ وإنَّ ظُنَّ كَذَلِكَ

• كم نشاهدُ في الحياة من بغيٍ وظلم ، ومن عدوان وتطاول ، وقد يحسُّ صاحبه بنشوة الانتصار فيه، لمحبته الظلم ، وهضم الناس حقوقهم، ولا يدري شؤمَ ذاك عليه، وعاقبته الجارفة له، كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ٢٣ .

أي عاقبة ذلك سيطالكم، ونهايته ستدور بكم، فلا تفرح كثيرًا ، فمكر الله آتٍ، وموعده حتمي، ونصرته للمستضعفين قائمة ، لن تتبدل ولن تتغير. فقَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿عَلى أنْفُسِكُمْ﴾ أيْ عَلَيْكم في الحَقِيقَةِ لا عَلى الَّذِينَ تَبْغُونَ عَلَيْهِمْ وإنَّ ظُنَّ كَذَلِكِ وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿مَتاعَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾ نُصِبَ عَلى أنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ، أيْ تَتَمَتَّعُونَ مَتاعَ الحَياةِ الدُّنْيا والمُرادُ مِن ذَلِكَ بَيانُ

كَوْنِ ما في البَغْيِ مِنَ المَنفَعَةِ العاجِلَةِ شَيْئًا غَيْرَ مُعْتَدٍّ بِهِ سَرِيعِ الزَّوالِ دائِمِ الوَبالِ، فبئس لذته، وتعست حلاوته..!

• فمتى يعي الظلمةُ والمعتدون أن ظلمهم واقع بهم، وفسادهم منوط بأفعالهم، وستنقلب الأمور بهم، ويصلاهم الشقاءُ المبين، والله المستعان. وفي الآخرة حساب واستفصال ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

فلن يفر مجرمٌ، ولن يفوت ظالم، ولن تغيب عدالة، كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الأنبياء: ٤٧.

• وقد كان لهم آية في تنجيتهم من المصائب ، واستنقاذهم من المخاطر ، كما حصل للغرقى، فلما نجاهم بغوا وتناسوا نعمة الله عليهم ، وكان حقهم الاعتبار والانتفاع ..! لأن النعم عنوان الشكر وليس البغي والبطر..!

٢٦- ويرى الذين أوتوا العلم!

• هنا نص شريف في نفاسة العلم وشرف أهله ، حيث يدركون الحقائق ، ويعرفون الأفهام ، ولا تلتبس عليهم الأمور، كما قال عز وجل في تشريفهم وعلو شأنهم: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ سبأ: ٦. أي لا يشكون في شرائع اللّه، ويسلمون بصدقها..!

إذ لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله ليس بحق، ذكر حالة الموفقين من العباد والصالحين منهم، وهم أهل العلم، وأنهم يرون ما أنزل اللّه على رسوله من الكتاب، هو الحق، أي: الحق منحصر فيه،والنور يحوطه وما

خالفه وناقضه، فإنه باطل، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين والتسليم .

• ويرون أيضا أنه في أوامره ونواهيه ﴿يَهۡدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ صراط غيرزمعوج، ومنهاج غير مزيف، وذلك أنهم امتطوا الصدق، فلم تعرفهم الشبه، ولا خالطتهم الظنون ، فقد علموا ما أخبر به من وجوه كثيرة: من جهة علمهم بصدق من أخبر به، ومن جهة موافقته للأمور الواقعة، والكتب السابقة، ومن جهة سطوع الحقائق فيه ، واندفاع الخرافات عنه...!!

• وإنما وقع ذلك للعلماء لاطلاعهم المستديم ، وتعلمهم الصادق ، وحرصهم البليغ، ودعوتهم الناصحة، وخشوعهم المتين ، وتعظيمهم حرمات الله، بل لا يحصل ذلك التعظيم والوعي، إلا لمن تعلم وصدق مع الله تعلما وإنابةً..!

وفي ذلك تزكيةٌ لهم ولعقلهم ، مما هو تنبيه على حسن عقيدتهم وصلاحهم ، حيثُ هدوا إلى الحق ، وعلموا الأنوار ، وعاينوا البينات ، خلافا للجهال، والمستكبرين، والذين جعلوا العناد مطيةً لهم، فخابت توقعاتهم ، وكثرت تلبيساتهم، والله المستعان . وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة، وعلامة لهم على صدقهم وصحة دربهم، وأنه كلما كان العبد أعظم علما، واكثر متابعة، كان أعلم الناس بالحق ، وأرشدهم سبيلا ، و كان من أهل العلم الذين جعلهم اللّٰه حجة على خلقه، قال الحسن البصري رحمه الله: (لولا العلماء لكان الناس كالبهائم) وله أيضًا: (الدنيا كلها ظلمةٌ الا مجالسَ العلماء).

جعلنا الله وإياكم منهم...!

٢٧- حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنةً!

• قد لا يعيها كثيرون إلا أربابُ الأربعين ومن على مشارفها ، وكنا نسمعها ونحن صغار ونعتقد أنها لسوانا..! وحينما بلغناها احتجنا لمن يذكرنا بها وبدرسها.. ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف: ١٥.

أي بلغ استحكامَ قوته وعقله، وغاية شبابه واستوائه، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وبلوغ الأشد أن يكتهل، ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته ولبه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين، ولا بد من تقدير جملة تكون حتى غاية لها،

أي عاش واستمرت حياته، وقيل: بلغ عمره ثماني عشرة سنة.

وقيل: الأشد الحلم، والمهم اذا وعَى ذاك دعا الدعاء المذكور .

• (قال رب أوزعني) أي ألهمني ورغبني ووفقني... (وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَالِحًا تَرۡضَاهُ﴾ أَيۡ: فِي الۡمُسۡتَقۡبَلِ، ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أَيۡ: نَسۡلِي وَعَقِبِي، بأن تكون ذريةً صالحةً، ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ الۡمُسۡلِمِينَ﴾ وَهَذَا فِيهِ إِرۡشَادٌ لِمَنۡ بَلَغَ الۡأَرۡبَعِينَ أَنۡ يُجَدِّدَ التَّوۡبَةَ وَالۡإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَيَعۡزِمُ عَلَيۡهَا. ويُستحب له قول هذا الدعاء . قال الوزير ابن هبيرة رحمه اللّٰه : (هذا من تمام بر الوالدين، كأن هذا الولد خاف أن يكون والداه قصرا في شكر الرب عز وجل، فسأل اللّٰه أن يلهمه الشكر على ما أنعم به عليه وعليهما؛ ليقومَ بما وجب عليهما من الشكر إن كانا قصَّرا).

• قال الشوكاني رحمه اللّه : (في هذه الآية دليلٌ على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة أن يستكثر من هذه الدعوات).

وفي الآية دليل على مشروعية اعتزاز المسلم بدينه، وبكونه من المسلمين، ولا ينتسب لاسم غيره، ولا يتعصب لشيء سواه، وأن النسب الإسلامي خير نسبٍ وأطيبه وأعلاه، يفوق مفاخر الناس وادعاءاتهم وعنصرياتهم ، واللّه المستعان ، كما قال اللّه : (ان أكرمكم عند اللّه أتقاكم) سورة الحجرات .

جعلنا اللّه من أهلها ، واللّه الموفق .

٢٨- كُبتوا كما كُبتَ الذين من قبلهم ..!

• يفترض عند سماعنا هذه الآيات ، أن تقذف فين روح الأمل بانتصار الدين وبعلو راياته، وهزيمة أعدائه، فهم مكبوتون ولو تفوقوا، ومهزومون ولو برعوا، ومغلوبون ولو ملكوا الذي ملكوا، فاللّه من ورائهم محيط، ويكيد لكيدهم ، ويمكر بمكرهم، ويكبتهم في طغيانهم يعمهون ...! كما قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ المجادلة: ٥.

فيخبر تعالى عَن المستكبرين ممن شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَانَدُوا شَرْعَهُ ، أنه يردعهم ، وينسف شرهم ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَيْ: أُهِينُوا وَلُعِنُوا وَأُخْزُوا، كَمَا فُعِلَ بِمَنْ

أَشْبَهَهُمْ من الأمم السالفة ، والمجرمين الأوائل. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أَيْ: وَاضِحَاتٍ لَا يُخَالِفُهَا وَلَا يُعَانِدُهَا إِلَّا كَافِرٌ فَاجِرٌ مُكَابِرٌ، وهي كافية في الايمان والتسليم. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ مَا اسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ شَرْعِ اللَّهِ، وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وَالْخُضُوعِ لَدَيْهِ.

• فهذا نصٌ مطمئن ، وموعظة دافئة ، وحجةٌ قاهرة واعدة، فالكفر مكبوت مكبوبٌ، ومهزوم مدحور ، يقال: كبت اللّه فلاناً إذا أذله، والمردود بالذل يقال له: مكبوت، وقيل: أخزوا كما أخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك، ولبعضهم أهلكوا . ومثل ذلك يمنحُ المؤمن عقيدة العمل والجد لدينه ، ولو قلت الوسائل، وهانت الآلات ، فاللّه مؤيدهم ونصيرهم ، كما قال سبحانه: (إنا لننصرُ رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهاد).

سورة غافر . وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم: ٤٧ .

• وفيها وعيدٌ شديد، وتهديد رهيب لأولئك الذين انجلت لهم الآيات ، وشاهدوا الحقائق ، ولكنهم لجّوا في باطلهم، ومن جاراهم من المنافقين والتافهين والشهوانيين، أن إصرارهم على حرب دين اللّه ، سينقلبُ عليهم، وتمحق مشاريعهم، وتحصد برامجهم، واللّه غالبٍ على أمره ولكن أكثرَ الناس لا يعلمون .

ولن يجني جانٍ إلا على نفسه ، واللّه الموفق .

٢٩- حورٌ مقصوراتٌ في الخيام !

• شدت المستمعُ عبارة (مقصورات) ولمحتُ منها معنى الحبس والانزواء ، بحيث هنّ مصونات لا يطلع عليهن الآخرون، قال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الرحمن: ٧٢ .

أي محبوسات فيها، ومنه القصر، لأنه يحبس من فيه، وقيل: مخدرات مستورات لا يخرجن، لكرامتهن وشرفهن، يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة، أي: مخدرة، والحور جمع حوراء وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها ..! فهل تعلمن النساء في حياتنا الاجتماعية ، وأدركنَ أنّ الكرامة في حجابها الساتر، ونقابها السابغ ، وتعففها الكامل ، كحور الجنات، والأبكار الخالدات..!

• وغالبُ الرجال لا يحبون من النساء إلا العفائف المستورات ، وأما السوافر المخالطات للرجال ، فتضعف الرغبة فيهن، حتى من الفساق المتساهلين ، فقد يطلبها للاستمتاع وليس للزواج...! لكأنهم مفطورون على حب العفاف، وطلب النسل الصالح .

• والآيةُ حجةٌ على شرعية الستر للمرأة وأنه نداء الفطرة، وحرمة مخالطة الرجال ، وأن جمال المرأة في العفاف، والسكون الاجتماعي . وليس الركض وراء كل ناعق وصاعق..! وما تغيرت النساء إلا بسبب الخلطة المستديمة، وممارستها دورًا ليس لها، ولا يليقُ بانوثتها، واسمع ما قاله تعالى عن الصالحات قبلنا...

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّى

يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ القصص: ٢٣.

وقال في وصفهن: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾.

أي تمشي: كائنة (على استحياء) في حالتي المشي والمجيء لا عند المجيء فقط، وهذا دليل على كمال إيمانها، وشرف عنصرها، لأنها جاءت للضيافة، ولم تعلم أيجيبها أم لا؟ فأتته مستحيية، قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه: « جاءت مستترة بكُم درعها على وجهها من الحياء»، والحياء والاستحياء بالمد الحشمة والانقباض والانزواء، فما أحرى نساء المسلمات بهذا الخلق العزيز، واللّه الموفق.

٣٠- ربنا ولا تحمل علينا إصراً!

• من رحمة اللّه على هذه الأمة وضع الآصار والأثقال عنها، خلافًا للأمم السابقة ، فقد كانت عليهم شدائد وآصار، كما قال تعالى في أواخر البقرة : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ البقرة: ٢٨٦ .

أَيْ: لَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ وَإِنْ أَطَقْنَاهَا، كَمَا شَرَعْتَهُ لِلْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَنَا مِنَ الْأَغْلَالِ وَالْآصَارِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، الَّتِي بعثتَ نبيك مُحَمَّدًا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ بِوَضْعِهِ فِي شَرْعِهِ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ بِهِ، مِنَ الدِّينِ الْحَنِيفِ السَّهْلِ السَّمْحِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه عَنْ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: نَعَمْ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ». وَصح الحديثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «بُعِثْتُ بالحَنيفيَّة السَّمْحَةِ».

• والإصـرُ: العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، والمراد به هنا التكليف الشاق والأمر الغليظ الصعب، وقيل الإصر : شدة العمل وما غلظ على بني اسرائيل ،؟من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة، وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير وقيل العهد، ومنه قوله تعالى: (وأخذتم على ذلكم إصري).

• وفي الآية إغراءٌ بيسر هذه الدين ، وسهولة هذه الرسالة، وأنه خالٍ من التشدد والعنت، وليس فيه مشقة ولا تنكيد، كما

قال سبحانه : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ الحج: ٧٨.

وهـذا يحملُ العاقل على الثبات والمواظبـة ، والحـرص والمحافظة ، فقد جاء عليه الصلاة والسلام بالحنيفية السمحة، والشريعة الميمونة ، والطريقة الميسورة ، وقال : (إنما بُعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين) وما تدين عاقلٌ بهذه الشريعة إلا لامس يسرها وجمالها ، فالحمد للّه على نعمه وشريعته .

تم المراد من المعاني القرآنية

في رسالة (جلود مقشعرة)

جعلنا الله وإياكم منهم ، وحفظ

علينا ديننا وإسلامنا ، إنه على

كل شيء قدير .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٦١) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية

- مواقفُ علمية للأئمة الأسلاف.

- طلعةُ الشمس (سنن نورانية).

- وكلها من (دار تكوين).

- طلائعُ السلوان - دار ابن خزيمة .

- نسماتٌ من أم القرى .

- مواتُ المروءة (شعر).

- وطن ومنن (شعر).

- الطِّلاب الأعظم (شعر)

- فهزموهم بإذن اللّٰه (شعر).

- توهجات النيل(شعر).

- كورونا وليمونا (شعر).

- مدائن الألباني.(شعر).

- عاصفة الحزم (شعر).
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .
- أزاهير الروضة
- شجن المنابر
- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- محاسن التزيين بمعاني المئين
- حسنُ التداني من لبّ المثاني .
- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر.

- مسامرات أدبية على أنغام المتنبي.

- اغتنامُ الدرر من سورة العصر .

- النسيمُ البحري من أسرار رب اشرح لي صدري.

- متعةُ الهيمان من أسرار ثلث القرآن.

ومن الدواوين:

- توهجات النيل.

- عاصفة الحزم.

- العسل الماذي

- وطن ومنن .

- قائم وحصيد .

- مدائنُ الألباني .

- فهزموهم باذن اللّٰه.

- محائليات
- موات المروءة
- الطلاب الأعظم.
- كورونا وليمونا .
- مراسيل واتسية.

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

